

هذا البيت مثابة للناس وأمنا، لا يجوز فيه قتال. ولا يجوز من حوله قتال، فممكن لهم بذلك حرما آمنا في بلاد مضطربة لا ضابط لشئونها، والناس من حوله يتخطفون كما يتخطف الطير، وأنبأنا أنه أكرم جيرانه، فجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم، ورزقهم من الطيبات، وجبى إليهم ثمرات كل شئ، وأنبأنا أنه أكرم رسوله حين استجاب له وهو يقلب وجهه في السماء، فوله قبله يرضاها هي هذا المسجد الحرام، ثم جعل شعائره شعائر الله، ففرض على الناس تعظيمها وحرم عليهم انتهاكها، وإرادة الإلحاد أو الظلم فيها، وأوجب حجه على كل مستطيع، وجعل ذلك حقا " الله " على الناس من استطاع إليه سبيلا، وأشعر بأن رفضه أو التكاسل عنه لغير عذر كفر وجحود " ومن كفر فإن الله غني عن العالمين "، وجعل هذا الحج في أشهر معلومات " فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج "، وعرض لتفاصيل أحكامه، فذكر الطواف والسعي، وأمر من أحصر بما استيسر من الهدى، ونهى عن حلق الرأس قبل أن يبلغ الهدى محله، وجعل لمن كان مريضا أو به أذى من رأسه فدية من صيام أو صدقة أو نسك، وأوجب على من أمن وكان متمتعا بالعمرة إلى الحج أن يقدم هديا، فإن لم يستطع فصيام أيام بعضها في الحج وبضها إذا رجع أن كان من غير حاضري المسجد الحرام، وأمر الحجيج إذا افاضوا من عرفات أن يذكروا اسم الله عند المشعر الحرام، وأن يذكروه كما هداهم، وأن يفيضوا من حيث أفاض الناس، وأن يذكروا الله في أيام معدودات، وجعل البدن التي تذبح فيه من شعائر الله، ولفت إلى ما فيها للناس من خير ومنافع، وأمر بإطعام القانع منها والمعتز، وأمر بعد تمام النسك بقضاء التفث، ووفاء النذر، والطواف البيت العتيق، إلى غير ذلك من أفعاله وتفاصيل أحكامه.

ما هو السر في عناية القرآن الكريم بتلك الفريضة على هذا النحو؟ وهل الحج إلا ركن من أركان الإسلام كسائر أركانه الخمسة التي ذكرت في الحديث